حجر الصبر

حجر الصبر اسمٌ لمسرحٍ أنشأه السيد نجيب فاضل، وحكايةُ هذا المسرح أنَّه كان هنالك فتاةٌ في مقتبل العمر، وبينما هي نائمةٌ رأتْ في منامها طيراً يطير قربَ نافذةِ القصر يقول لها:

ـ إنْ أنتِ انتظرتِ عند رأسِ ابنِ السلطان أربعينَ يوماً وأربعينَ ليلةً، سيستيقظُ وسيتزوجك.

استيقظتْ من نومها.. وانتظرت أربعين يوماً وأربعين ليلةً عند رأسِ ابنِ السلطان منتظرةً أنْ يستفيقَ ويعودَ إلى وعيه.

وفي الليلة الأخيرة اشترتْ من قرصانٍ جاريةً بحفنةٍ من المجوهرات لِتُحَرِّرَها، ولكنَّ الجاريةَ كانت كاذبةً وخائنة، وفي الحقيقة باعها القرصان ليتخلَّصَ منها.

حكت الفتاة للجارية قصَّتَها:

ـ لأربعينَ ليلةٍ خلتْ وأنا في هذا القصر، لم أستطع النوم وأنا أنتظرُ أنْ يستفيقَ ابنُ السلطان، ولم أخرج من هذه الغرفة. . لو تمكثين قليلاً عند رأسه لأتجوَّلَ قليلاً في هذا القصر.

بعد خروج الفتاة بمدة قصيرةٍ، استفاقَ ابنُ السلطان، وشُفِيَ من مرضه! قالت له الجارية:

ـ كنت ستموت من أجلِ أربعين يوماً وأربعين ليلة.

وشرحتْ له أنَّه سيتزوجُ الفتاةَ التي ستنتظرُ عنده أربعين ليلةً وأربعين يوماً.

قال ابن السلطان:

ـ هيه أيتها الفتاة. . هل أنتِ تلك الفتاة التي انتظرت الأربعين يوماً وليلةً؟

أجابتْهُ الجارية:

ـ نعم! ومن أجلك انتظرتُ.

وفي هذه الأثناء دخلت الفتاة، فعرَّفَتْهَا للملك على أنَّها جاريتُهَا.

أقام الملك عرساً ضخماً وزوَّجَ ابنَهُ بتلك الجارية. .

وكانت الجاريةُ تحاول أنْ توقعَ الفتاة في مصيبةٍ لتتخلَّصَ منها، وكانت تحاول أنْ تختلقَ الأسبابَ لتعاقبَهَا كما حاولتْ كثيراً تزويجَهَا.

ذات يومٍ قرَّرَ السلطان أنْ يذهبَ إلى الحج.. وسألَ الفتاةَ عن الهدية التي تحبُّ أنْ يجلبَها لها من هناك؛ فقالت له:

ـ لا أريدُ شيئاً إلا حجرَ الصبر!

وعند عودته كان قد أحضرَ لها ما طلبتْهُ.

ذات يوم كانت الفتاة تحدِّثُ الحجرَ عن قصتِهَا، وعند نهاية حديثها قالت:

ـ لو كنتَ مكاني.. هل كنتَ لتتحملَ هذا الذي أنا فيه؟!

عندها انتفخَ الحجر.. انتفخَ أكثر.. ثم انفجر!

في هذه الأثناء صادفَ مرور السلطان من أمامِ الباب فسمعَ قصَّةَ الفتاة، فذهب إلى الجارية والشَّرَرُ يتطايرُ من عينيه وقال لها:

ـ لا أريد أنْ تتفوَّهِي بكلمةٍ واحدة، لم يعدْ لي قدرةٌ على تحمُّلِكِ أكثر من ذلك.

استمرت الجاريةُ في وقاحتِهَا وطلبتْ أنْ يكونَ معها أربعينَ بغلاً محمَّلاً بالهدايا والحرير والمجوهرات عند خروجها من القصر متوجِّهَةً إلى أهلها.

ولكنَّ الملك أمرَ أنْ تُربَطَ بذيلِ أربعين بغلاً يسحبونها على الأرضِ حتى الموت، وهنا طلبت الفتاةُ أنْ تقولَ رأيَهَا:

ـ لي طلبٌ يا مولاي!

ـ طلبُكِ هو طلبِي.. تفضَّلِي قولي.

ـ لا تقتلْهَا يا مولاي.. وأعطِهَا ما تريدُ ولْترحل من هنا.. أربعينَ بغلاً محمَّلةً بما غلا ثمنُهُ وخفَّ حِمْلُهُ.

وفي كلِّ مكانٍ يذهبون إليه، يقول الناس: هكذا يكون السلطان.

رحمةُ الله لا حدودَ لها، وهو لا يعاملنا بذنوبنا؛ بلْ يعاملنا بحسب حسنِ ظنِّنا بجلالتِهِ، ويوزِّع رحمتَهُ وفضلَهُ على كلِّ عبادِهِ بالعدل.. ولذلك يجب أنْ يعاملَ السلطانُ الناسَ ليس على حسبِ أخطائهم، وإنَّما على حسبِ رحمتِهِ وحبِّهِ لرعيَّتِهِ.